****

****

**تَأَمُّلَاَتٌ**

**فِي رَمَضَانْ**

**السيد إبراهيم أحمد**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَتَاكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ " (رواه النسائي وصححه الألباني).

## المقدمة

الحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. وبعـد:

فهذا الكتاب يتناول عددًا من التأملات التي تبلورت مقالات تدور كلها حول شهر رمضان المبارك، والتي جاءت استلهامًا من هذا الشهر المفعم بالدروس، والخبرات، والتجارب، والعطاءات الإيمانية الربانية بصنوفٍ شتى لا يستوعبها واحد فقط بل تتوزع بحسب الفهوم والعقول وجلاءات القلوب التي تتشرف باستقبالها.

بقدري لا بقدر المعاني الجليلة المستمدة من هذا الشهر الذي ذكره الله في كتابه الكريم، وجاءت الأحاديث الكثيرة في السنة النبوية المطهرة القولية والفعلية اقتداءً بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، لكي أتأمل فيها على مهلٍ وتؤدة، قراءة في من تناوله من السابقين، وإعمالًا للفكر فيه بالقلب والعقل معًا، في محاولة لاستخراج أهم ما فيه من درر وفوائد علمية وعملية.

ولقد جاءت هذه التأملات في شهر رمضان كموضوع، وكتبتُها في شهر رمضان كتاريخ، وذلك كما كان يفعل سادتنا العلماء حين كانوا يشيرون لتاريخ بدايتهم في كتابة مصنفهم أو الانتهاء منه ويستبشرون إذا كان أوله ومنتهاه أو أوله أو منتهاه، كل على حدة، وقع في أحد أيام أو إحدى ليالي رمضان، ليعانق التاريخ شهر رمضان في لحظة زمنية فارقة في تاريخ المُصَنِّف، والمُصَنَّف.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وسيد الخلق أجمعين.

السيد إبراهيم أحمد

## رمضان شهر التواصل والتكامل

يأتينا في كل عام جديدًا، نفس البهجة في النفوس، والانشراح في الصدور، والاطمئنان في القلوب، هذا أجمل ما في شهر رمضان سيد الشهور عند المسلمين، ولا تجد له مثيلًا عند غيرهم، فالاحتفاء به ليس على سبيل الكرنفالات والاحتفالات والمهرجانات كما نراها هنا وهناك على شاشات التلفاز.

رمضان شهر له عبق خاص، وروائح تأتي قبيل قدومه من النسمات والبشائر التي يستشعرها المسلم سواء الغني أو الفقير، القادر وغير القادر، عباءة رمضان تتسع للجميع، وهو شهر الكرم بحق ولهذا يتسابق فيه الجميع في تنافس محمود؛ فالحسنات أجرها مضاعف أزيد من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف في كل الأعمال الصالحات من العبادات التي يقوم بها المسلم إلا أن الصوم له خصوصية "الثواب المفتوح" إن أحسنت التعبير، ذلك أن الله سبحانه وتعالى هو من يتولى رصد الحسنات والثواب بنفسه سبحانه، فالصوم لله تعالى وهو يجزي به، وله دون العبادات الأخرى صفة السرية فلا يطلع عليه غير الله تعالى دون العبادات الظاهرة لكافة الناس، وفيه المشقة والجهاد على كبح جماح النفس عما تشتهيه قربة لله تعالى.

تأملت هذا الشهر الكريم فوجدتُ فيه ما ليس في غيره من شهور العام بوجه عام حتى الهجرية، فلا تجد شهرًا فيه من التواصل والتكامل بين العبادات كما في هذا الشهر؛ فالنهار صيام وصلاة، وقراءة قرآن، وذكر وتسبيح وتهليل وتحميد واستغفار، ودعاء لا يفارق كل هذا الخشوع لله تعالى بالقبول، يتواصل مع الليل حتى بعد تناول طعام الإفطار، لتبدأ دورة جديدة من التواصل والتكامل بين العبادات من صلوات تزيد بصلاة التراويح، وقيام الليل، ولا تنتهي بالسحور حتى تبدأ دورة جديدة مع صلاة الفجر والدعاء وقراءة القرآن الكريم.

لا يوجد في أي شهر من شهور العام شهر تتواصل فيه العبادات ليل نهار بمثل هذه الطريقة، وعلى نفس النهج والوتيرة، ولا تقل لي رجب أو شعبان فالعبادة فيهما على سبيل التطوع والاستحباب والفردية، أما في سيد الشهور فالفرضية ثابتة بالقرآن والسنة، والوجوب ملزم، والجماعية حاكمة في البيوت، والمساجد، والعمل، والشوارع، وفي الوطن العربي، والعالم الإسلامي، والعالم بأسره، بضواحيه ومدنه، وجمهورياته، وملكياته، وإقطاعياته، وقاراته، الكل يغزل نسيجًا واحدًا هو ثوب رمضان، والكل يشكل فسيفساء من زخارف لوحة رمضان الكبيرة التي تضم الأجناس، واللهجات، واللغات، والقوميات، والألوان التي يوحدها رمضان سيد الشهور بريشته الحانية الساحرة الأخاذة بالقلوب والألباب، والمهج والأفكار.

لا يماثل شهر رمضان شهر من شهور العام عند النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد كان شأن النبي صلى الله عليه وسلم فيه غير شأنه في أي من شهور العام، وذلك من استقباله له صلى الله عليه وسلم من شهر شعبان وذلك مما يكثر فيه من الصيام باعتباره من السنن الرواتب التي ترافق الصلوات المفروضة، بما يعني أن صوم شهر شعبان راتبة قبلية كتقدمة لفرض شهر رمضان مثلما جعل صيام الست من شهر شوال راتبة بعدية له، وبما يخصه فيه صلى الله عليه وسلم من الطاعات، والقربات، والنفحات، والدعاء، ومدارسة القرآن، والجود فيه على الناس بعد لقائه جبريل، حتى كان صلى الله عليه وسلم أجود من الريح المرسلة.

ينسخ رمضان كل العادات المتبعة، والسلوكيات الثابتة عند كل مسلم مهما كان وأي ما كان، ليبدأ ذلك المسلم معه الترحال حيث مرافئ الطهر والتعفف والتخفف من الذنوب، والانغماس في أنواره الرحيمة الرحيبة بشفافية ملائكية أو تكاد، وخروج من الذات الأرضية السجينة نحو آفاق الروحانيات والمثاليات والسمو والرقي.

في رمضان تتواصل الأجساد مع الأرواح بأسلوب جديد، وباتفاق خفي بين طيات النفس، وانعتاق من الماديات التي تحط على كاهل العبيد، ليتحرروا من الثقل إلى الخفة، ومن القتامة إلى الألوان الزاهية، حيث معدن الإنسان النقي الأول، إنها نقطة اكتشاف الذات، بالبعد عن الملذات، والأفكار الخبيثة والملغزات.

في رمضان تتواصل القلوب في اصطفاف جديد في صلاة، وفي حياة، حتى بين المسلم وأصحاب الديانات والمذاهب المخالفة، يضم رمضان الجميع في موائد الإفطار بين دعوات من هنا وهناك لا تتقيد بتلك القيود الشكلية في الأيام العادية، وفي تسامح عجيب، وقبول للآخر، وانسجام حبيب مع الكون.

في رمضان تتكامل العبادات بالتسليم لبعضها البعض في رضا وحبور، ينطلق الآذان فترتفع المصاحف، لتقام الصلوات، يحدوها الخشوع، والخضوع للحق المطلق، وتنتهي الصلوات التي تنتهي برفع أكف الدعاء، والتسبيح والتهليل والتحميد، والاستغفار، ثم تتناول الأيدي المصاحف من جديد لتمتد مائدة الله بين المسلم وربه في إقبال على الله، وبغير إذعان أو إجبار أو تكلف بل بكل المحبة والرضا.

والدعاء في رمضان جسرًا قصيرًا بين العبد وربه، وهو في رمضان مضمون الاستجابة لمن فقه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جعل دعوة الصائم من الدعوات المستجابات، وذلك للتواصل العميق بين الإنسان وربه في لحظة تصفو فيها النفس عن شهوات الدنيا ومطامعها للطمع في وجه الله تعالى.

رمضان هو الشهر الوحيد الذي شهد تواصل الأرض بالسماء في مشهد كوني حافل بمراسم الاصطفاء والتكليف، حين تلقى أمين الأرض الرسول صلى الله عليه وسلم النور والرسالة من أمين السماء، ليؤكد أن الاتصال بين الإنسان والله قائم بلا حلول ولا اتحاد، برسالة تمثلت أنقى تمثيل بالتوحيد، وعبادة الله بلا وسائط ولا شركيات.

ليس هناك غيره رمضان، ولن يكون غير رمضان، شهر يطل على الأكوان بمثل هذه الحفاوة والحب في الاستقبال، وبمثل هذا البكاء المرير على مرور أيامه مسرعات، وتبدأ أشرعة الشوق من جديد في أنهار العام تنتظر قدومه على شوق، وتبقى القلوب واجفة بين الدعاء بقبول الطاعات فيه، والدعاء ببلوغه من جديد، إنها رحلة من التواصل التي لا تنتهي في حياة المسلم والتي تصنع فيه حلقات من التكامل لا تنتهي مع رمضان.. ذلك الزائر الدائم في كل عام.

## التاريخ حين يعانق رمضان

يتيه شهر رمضان، هذا لو جاز له أن يتيه، بكثرة الأسماء التي تضاف إلى اسمه الكريم، فهو سيد الشهور، وشهر القرآن، وشهر الغفران، وشهر الفرقان، وشهر الجهاد، وشهر الفتوحات، وشهر البطولات، وشهر الانتصارات، وشهر العتق من النيران، وشهر الجود، وشهر الكرم والكثير مما سماه بها كل من أحبوه ووقروه.

إنه الشهر الذي يعانق التاريخ أو الذي سعى إليه التاريخ وعانقه وصادقه وزامله، ذلك أنه الشهر الذي شهد بداية اللحظة الفارقة في تاريخ البشرية يوم الاثنين لإحدى وعشرين مضت من شهر رمضان ليلًا، الموافق لليوم العاشر من شهر أغسطس سنة 610 من ميلاد المسيح عليه السلام، وذلك كما حددها بعد النظر والتأمل في القرائن الشيخ صفي الرحمن المباركفوري في كتابه "الرحيق المختوم"، مستندًا في هذا على الرأي القائل بأن ميلاده صلى الله عليه وسلم كان صبيحة يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول الموافق لليوم العشرين من أبريل/ نيسان سنة 571 من الميلاد، وهو الذي يوافق السنة الأولى من حادثة الفيل، وكانت ولادته في دار أبي طالب بشعب بني هاشم، أخذًا بما حققه عالم الفلك المصري المرحوم محمود باشا الفلكي.

بناءً على التاريخ الذي تقدم يكون عمر الرسول صلى الله عليه وسلم أربعين سنة قمرية تامة، وستة أشهر، و12 يومًا، وذلك نحو 39 سنة شمسية وثلاثة أشهر وعشرين يومًا‏ من السنة الثالثة من عزلته صلى الله عليه وسلم في غار حراء، حين شاء الله تعالى أن يفيض من رحمته على أهل الأرض، فأكرم عبده محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة، ثم أنزل إليه جبريل بآيات من القرآن الكريم لتبدأ الحضارة.

يقول سعيد جودت فى مدخل كتابه: "اقرأ وربك الأكرم": (المسلمون الذين كلما كتب كاتب في الأرض عن تاريخهم لا يقضي عجبًا من سرعة ما ملكوا العالم المعاصر لهم، انطلقوا من الكلمة (اقرأ) إنهم في عصرهم كانوا أقرأ الناس وأشدهم اتصالاً بالقراءة والكتاب والعلم الذي يطلبونه في كل مكان ومن كل مصدر، لقد نالوا كرم الرب وكرامته من سعة في الدنيا ومكانة في العالم).

كان العالم قبل اقرأ شيء ولكنه بعد اقرأ القرآنية شيئًا جديدًا، اقرأ التي شهدها رمضان سيد الشهور هي التي جعلت من رمضان تاريخًا جديدًا في تاريخ العالم تتسابق تواريخ الأيام والسنوات لتتلاصق به وتتماس، فيتيه الحدث ويكتب له الخلود في سجلات الدنيا، فشكل رمضان في الأمة الإسلامية وجوده في عقولها وقلوبها.

عانق تاريخ البطولات تاريخ رمضان فبدأ المسيرة المباركة من الانتصارات مع يوم الجمعة الموافق السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة مع أول غزواته "بدر الكبرى"، وتنتهي مسيرة الغزوات النبوية مع يوم العشرين من رمضان من السنة الثامنة من الهجرة المباركة مع فتح الفتوح "فتح مكة المكرمة"، وتأتي البطولات من بعد عصر النبوة والتي وقعت في رمضان، ومنها: موقعة البويب سنة أربعة عشر من الهجرة النبوية المباركة، موقعة القادسية في العام الخامس عشر من الهجرة، فتح النوبة عام 31 من الهجرة، والذي لا يذكره أحد مع فتوحات المسلمين في رمضان، فتَح المسلمون جزيرة رودس سنة 53هـ، كما كان فتح بلاد الأندلس في رمضان سنة 92هـ، وشهد رمضان معركة الزلاقة، جنوب دولة إسبانيا حاليًا، في عام 479هـ، وشهد موقعة حطين كانت عام 584هـ، كما شهد أيضًا معركة عين جالوت عام 685ه.

كما شهد رمضان العديد من التواريخ التي اتسمت بالحزن أو التي عمَّها الفرح، مثل: وفاة أبو طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم في العام العاشر من البعثة، وفي نفس السنة في يوم العاشر من رمضان ماتت سيدة المسلمين السيدة خديجة رضي الله عنها أول أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم وأول خلق الله تعالى إسلامًا، وقد توفت السيدة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان من السنة الثانية من الهجرة، كما توفت سيدة نساء العالمين في زمانها، وأم الحسنين في ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة المباركة، ثم استشهد زوجها الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في اليوم السابع عشر من رمضان من السنة الأربعين من الهجرة وفي ليلة الثلاثاء السابع عشر من شهر رمضان عام 58ه توفيت إلى رحمة الله تعالى السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق ثالث أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم، كما شهد شهر رمضان سنة ثمان ومائتين هجرية في مصر، وفاة نفيسة العلم، العابدة الزاهدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي العلوية من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي رمضان توفي الصحابي سعد بن مالك الخزرجي الساعدي والد الصحابي سهل بن سعد، وكان تجهز ليشارك في غزوة بدر فمات قبلها.

ومن الحوادث السارة التي شهدها شهر رمضان المبارك مولد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في المدينة المنورة في منتصف رمضان من السنة الثالثة من الهجرة، وزواج الرسول صلى الله عليه وسلم في العام الثالث الهجري من أم المؤمنين السيدة زينب بنت خزيمة بن الحارث "أم المساكين"، وفي رمضان من السَّنة التاسِعة للهجرة قدم الرسول صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك منتصرًا، وفي نفس العام حضَر إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وفْدُ ثقيف لمبايعته وأعلنوا دخولهم في الإسلام، وفي رمضان من عام 361 هجرية تم بناء الجامع الأزهر بالقاهرة.

وللعلماء وأهل العلم مع رمضان تواريخ لا يستطيعون نسيانها من كتب ومؤلفات فرغ منها أصحابها من المصنفين في هذا الشهر الكريم أو بدأوها فيه، فكان رمضان وهو يعانق التاريخ من حيث إنطلاقه بخير الرسالات على البشرية كلها، ليهدي الدنيا أرحم الحضارات التي تعد من مفاخر هذا الدين، وأضافت إلى الحضارة الإنسانية الكثير من منجزاتها، يشهد الكثير من هذه الإنجازات التي تمت في أيامه المعدودات، مثلما شهد الكثير من الفتوحات البطولية والعسكرية المختومة بختم النصر والتأييد والتمكين، كما لم تخلُ أيامه كذلك من فتوحات علمية ظل يتداولها أصحاب العقول والأفهام بالتلقي والتعليم والتعلم، لتصنع تاريخًا جديدًا لا تنقضي عجائبه منذ عانق التاريخ رمضان على هذه الأرض، وإلى أن تنتهي.

## بدر .. باكورة الغزوات والانتصارات

شهد وادي بدر صبيحة يوم الجمعة الموافق السابع عشر من شهر رمضان المبارك، من السنة الثانية من الهجرة النبوية الشريفة، فتح الفتوحات، ووقعة بدر، ويوم بدر، وبدر الكبرى، ويوم الفرقان، كما شهدت عين بدر التي كتب الله لها الخلود في سجلات التاريخ البشري، والتاريخ الإسلامي بصفة خاصة.

غزوة بدر العظمى، كانت باكورة الغزوات التي خاضها الإسلام ضد قوى الكفر في مكة وقوى الشرك في الجزيرة العربية ممثلة في زعماء مكة الذين كانوا يديرون الحرب ضد الإسلام، ومن هنا كانت نقطة فاصلة في تاريخ الإسلام بجميع أوجهه من حيث التأثير والآثار، وذلك من الوجهة التاريخية، والوجهة السياسية، والوجهة العسكرية، مما يوجب دراستها من أكثر من زاوية وهو الحادث بالفعل في كثير من الدراسات والمقالات، غير أن المهيمن عليها في التقديم فقط هو الشكل التاريخي والدعوي.

إن غزوة بدر تتبدى عظمتها في فيصليتها التاريخية الفارقة في تاريخ الإسلام وقت نشوب المعركة، وأسلوب إدارتها، وتاريخ الإسلام في مستقبله الذي لولا انتصار المسلمين في هذه الغزوة لتغير وجه تاريخ المسلمين ومن ثم تاريخ العالم بأسره، ولهذا وصف الله تعالى ذلك اليوم في كتابه العزيز بأنه: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال:41]، وهو اليوم الذي فرق فيه الله عز وجل بين الحق والباطل، وهو يوم بدر، والجمعان: حزب الله وحزب الشيطان كما يقول القرطبي في تفسيره، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم بقارقيتها وخطورتها وأنها تمثل لحظة تاريخية فاصلة لها ما بعدها في حالة النصر وأنه قد لا يكون هناك بعدها في حالة الهزيمة من حيث وجود الإيمان في الأرض، وتوحيد الله سبحانه، ولهذا لاذ بالله تعالى يدعوه رافعًا أكف الضراعة، مستقبلًا القبلة يستنجزه وعده، وهو يقول: "اللهُمَّ آتني ما وعدتني، اللهُمَّ أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تَهلِكَ هذه العصابة من أهل الإسلام فلن تُعبَد في الأرض"، وظل صلى الله عليه وسلم على هذه الحالة لا يفارقها حتى سقط رداؤه عن منكبيه، وحتى نزل الوحي يطمئنه؛ سيُهزَم الجَمْعُ ويُوَلُّونَ الدُّبُر.

وقد يدور سؤالًا مشروعًا: هل كانت لهذه الموقعة ضرورة مع ما يكتنفها من مخاطر ستقع آثارها، غالبًا، على المسلمين الأقل في العدة والعدد؟

وقبل الإجابة نرصد المسافة التي قطعها رسول صلى الله عليه وسلم 165 كم، ما بين المدينة المنورة وبدر، ومن حيث العدد، كان أول جيش منظم في الإسلام يبلغ 314 جنديًا، من حيث العدة، لم يكن معهم سوى سبعين بعيرًا يتعقبونها.

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ـ أي يتعاقبون ـ وكان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فكانت عقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالا له: نحن نمشي عنك ـ ليظل راكبًا ـ فقال: "ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما".

وكان عدد المشركين في أول أمرهم ألف وثلاثمائة مقاتل في بداية خروجه من مكة، ثم أصبح ألفًا بعد رجوع بني زهرة إلى مكة تاركة القتال لأبي جهل ومن معه، وكان معهم مائة فرس، وستمائة درع، وينفق على جيش المشركين تسعة من وجهاء قريش وأشرافها، ويكفي أنهم كانوا ينحرون في كل كل يوم تسعًا أو عشرًا من الإبل.

والجواب على هذا السؤال يقول بأن الصدام كان لا محالة سيحدث بين قوى الإيمان وقوى الشرك مهما طال الأمر، ومن يعد إلى وثيقة المدينة التي عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود والمشركين والنص على عدم التحالف بينهم وبين مشركي قريش مع عدم وجود دلالات وقت هذه الوثيقة على وجود روابط بين هذه الأطراف، لا يخفي النظرة الثاقبة الواعية والتي أثبت التاريخ واقعيتها وسبقها لرؤية من كان يظن باستحالتها، كما أن قوافل قريش قامت على أموال اقترفتها من بيع دور مغلقة للمهاجرين بمكة، وظل المهاجرين يعانون وحال الأنصار المدينة في جوارهم لهم ومؤازرتهم لا يعني أن الأنصار لم يكن يعانون اقتصاديًا أيضًا، وأن المهاجرين كانوا من عزة النفس بما لا يسمح لهم بالركون إلى كرم الأنصار الذي فاق الحد، كان يجب أن تظهر قوة المسلمين ووجودهم في أن يشكلوا خطرًا على طريق القوافل المكية التي تمر به من المدينة بما يشعرهم بالقلق على أموالهم وتجاراتهم، كما أن قريش قد اشتد بها الغيظ من أهل المدينة في مؤازرتهم للدعوة الجديدة، وكانوا يتحينون الفرص للاشتباك معهم بطريقة أو بأخرى.

أما السبب المباشر لعزوة بدر فهو، أنه قد بلغ المسلمين تحرُكُّ قافلة تجارية كبيرة من الشام تحمل أموالاً هائلة لقريش يقودها أبو سفيان ويقوم على حراستها بين ثلاثين وأربعين رجلًا، فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم أحد الصحابة ليقوم بجمع معلومات عنها، وبعد أن عاد الصحابي الجليل بالمعلومات، ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه للخروج، أي لم يأمرهم بل ترك الأمر للرغبة من عدمها، وقال لهم: "هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها"، وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان المبارك، ولم يكن يعزم على قتال بل كان قصده عير قريش فقط.

ويكفينا لمحات خاطفات نطوق بها أحداث غزوة بدر باكورة الغزوات الإسلامية، وبشائر انتصاراتها المجيدة الحاسمة والتي لولاها لما قام للإسلام قائمة، ومن هذه اللمحات: أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يسمح لجيشه بالمبادأة بالقتال، حيث بدأ الهجوم من جانب المشركين؛ إذ هجم الأسود بن عبد الأسد على الحوض الذي بناه المسلمون معاهدًا اللات والعزى ليشربن من الحوض أو يهدمنه أو يموتن دونه، فتصدى له حمزة بن عبد المطلب فضربه فلم يرتدع، فأجهز عليه قبل أن يبر بعهده على الأصنام.

ومن هذه اللمحات: أن التكتيك العسكري كان رائعًا ومدروسًا، ولم تغب عن المعركة الاستشارة، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدير المعركة من داخلها، كما ظهرت وحدة الصف في جيش المسلمين، بينما ظهرت الانشقاقات في جيش الكفار، ولم يتخلَ الله تعالى عن الرسول صلى الله عليه وسلم فأجاب دعاءه، وأرسل إليه الملائكة كمددٍ من السماء، في حين تخلى الشيطان في إجارته للمشركين فارًا من المعركة ليتركهم وحدهم يلاقون مصيرهم، كان لهذه المعركة أثر كبير في رفع الحالة المعنوية للمسلمين وتثبيتهم، أذلت قوى الشرك والكفر والنفاق واليهود في سائر الجزيرة العربية.

إن بدر الكبرى .. غزوة الفصل، والوعد بالنصر من الله، لمن ينصره تعالى، ويعلي كلمة الله لتكون العليا، والفداء بالنفس رخيصة في سبيل الله، رجاء ما عند الله، فيا ليتنا نعد إلى الله، ليثبت أقدامنا، ويجمعنا على كلمة سواء، ليتنا نجعل من بدر النصر، وبدر الفداء، بدر في حياتنا، وبدر حياتنا، وليتنا ندرسها ونتفهمها، إنها خطة عمل كبيرة في حياة هذه الأمة لو فقهت أمر دينها، ونهج نبيها، ومنهاج كتابها، وأمر ربها، لو طبقتها، لنجت.

## معه صلى الله عليه وسلم في رمضان

فرض الله تعالى صوم شهر رمضان في شهر شعبان من السنة الثانية من الهجرة، وعلى هذا فيكون النبي صلى الله عليه وسلم قد صام تسع رمضانات، ذلك لأنه صلى الله عليه وسلم توفي في شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من الهجرة، وهو ما أجمع العلماء عليه وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى.

واستلهامًا من كون شهر رمضان شهرًا للتواصل الإيماني، فقد كان شأن النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان ليس كشأنه وحاله في أي من شهور العام، غير أن الرسول صلى الله عليه وسلم يستقبل رمضان قبل دخوله وذلك بداية من شهر شعبان الذي كان صلى الله عليه وسلم يكثر من الصيام فيه باعتباره من السنن الرواتب التي ترافق الصلوات المكتوبة، بما يعني أن صوم شهر شعبان راتبة قبلية كتقدمة لفرض شهر رمضان مثلما جعل صيام الست من شهر شوال راتبة بعدية له.

كان لشهر رمضان في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم موقعًا كبيرًا، وفرحة بقدومه، واستبشارًا به، ولهذا كان ينقل هذا البشر والسرور بمقدمه بما يشيعه صلى الله عليه وسلم في أصحابه رضي الله عنهم وذلك من مثل قوله:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وسَلَّمَ: "أَتَاكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مِرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ".

فإذا رأى صلى الله عليه وسلم هلال شهر رمضان، قال: "اللَّهُمَّ أَهْلِلْهُ عَلَيْنَا بِالْيُمْنِ وَالإِيمَانِ وَالسَّلاَمَةِ وَالإِسْلاَمِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ" [الترمذي: 3451].

ومع أول ليلة من أيام رمضان كان صلى الله عليه وسلم يقول محفزًا أصحابه وأهل بيته والمسلمين أجمعين: " إذا كان أَوَّلُ ليلة من شهر رمضان، صُفِّدَتِ الشياطينُ وَمَرَدَةُ الجنِّ، وَغُلِّقَتْ أبوابُ النارِ فلم يُفْتَحْ منها بابٌ، وَفُتِّحَتْ أبوابُ الجنةِ فلم يُغْلَقْ منها بابٌ، وَيُنَادِى مُنَادٍ: يا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، ويا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وللهِ عُتَقَاءُ من النارِ، وذلك كلَّ ليلةٍ" [رواه الترمذي].

كان صلى الله عليه وسلم يتهيأ لشهر الصبر كما كان صلى الله عليه وسلم يسميه بالكثير من أن واع الطاعات والقربات من العبادات، ومنها مدارسته صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم مع أمين السماء جبريل عليه السلام، كما كان صلى الله عليه وسلم يكثر من إخراج الصدقات، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، كما كان صلى الله عليه وسلم في رمضان أجود الناس وأجود ما يكون في هذا الشهر عن غيره من الشهور ليس في الصدقات فقط بل بكثرة الإحسان وتلاوة القرآن، والصلاة والذكر والاعتكاف.

ربما يدل على خصوصية شهر رمضان من العبادة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيره من شهور العام، لتلتقي خصوصية هذا الشهر مع خصوصية من خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم حين كان يواصل الصيام يومين أو ثلاثة حتى يتفرغ لعبادة الله تعالى، ناهيًا أصحابه رضي الله عنهم أن يحذوه حذوه لأنهم ليسوا بمنزلته ومكانته عند الله تعالى.

ففي الصحيحين وغيرهما، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاصَلَ فِي رَمَضَانَ فَوَاصَلَ النَّاسُ فَنَهَاهُمْ. قِيلَ لَهُ أَنْتَ تُوَاصِلُ، قَالَ: "إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى".

كان من هدي الرسول عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان حثه على التعجيل بالإفطار بعد غروب الشمس وقبل أن يصلي المغرب ولو بشربة ماء، وتأخير السحور ولو تناول صلى الله عليه وسلم أقل القليل من الطعام.

وأما في التعجيل بالفطور:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يزال الناس بخير ما عجَّلوا الفطر" [رواه البخاري ومسلم].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلي على رُطَبات، فإن لم تكن رُطَبات فتُميرات، فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء" [رواه الترمذي وحسنه الألباني].

وأما بالتأخير في السحور:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "تسحَّروا فإن في السحور بركة" [رواه البخاري ومسلم].

كان صلى الله عليه وسلم يعلم أن رمضان هو شهر الدعاء، وشهر الاستجابة والمغفرة، وأنه هو الذي بين لأمته فضل الدعاء في بعض الأوقات، وأن الدعاء عبادة عظيمة، وأن من أحب الأوقات في الدعاء للعبد وهو صائم ذلك لما فيه من صفاء النفس، والخضوع والانكسار لله تعالى، والإقبال عليه بالكلية والانقطاع عن الخلق وعن شواغل الدنيا لحديثِ أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، قال: "ثلاثٌ لا تُرَدُّ دعوتُهم: الصائم حتى يُفطِر، والإمامُ العادل، ودعوةُ المظلوم" [صحيح، رواه الترمذي وابن ماجه 1752].

ولهذا كان يدعو صلى الله عليه وسلم عند الإفطار فيقول بما ثبت في سنن أبي داوود وحسنه الألباني، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال: "ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ، وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ".

قال الطيبي: (قوله صلى الله عليه وسلم "ثبت الأجر" بعد قوله "ذهب الظمأ" استبشارًا منه لأنه من فاز ببغيته ونال مطلوبه بعد التعب والنصب وأراد اللذة بما أدركه ذكر له تلك المشقة ومن ثم حمد أهل الجنة في الجنة).

يضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثل للمسلمين في هديه في شهر رمضان حيث كان يُسافر فيه للغزو والجهاد في سبيل الله، كما كان في سَفَره يصوم ويفطر، ولكنه كان يخير الصَّحابة بين أن يصوموا أو يفطروا، ولكن يأمرهم بالفطر عندما يقتربون من مكان العدو؛ لما في الصوم مع السفر مشقةً عليهم وأخذ من قوتهم وعزمهم.

ففي صحيح البخاري عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ حَتَّى يَضَعَ الرَّجُلُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الحَرِّ، وَمَا فِينَا صَائِمٌ إِلَّا مَا كَانَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَابْنِ رَوَاحَةَ".

كان من هديه صلى الله عليه وسلم أن لا تكون هناك جفوة أو مباعدة بين الرجل وزوجته، فكانت القبلة ممن لا يخشى على نفسه إنزال المني، ذلك أن القبلة في الصوم ليست محرمة.

كما جاء في باب الصوم عند البخاري، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ، وَكَانَ أَمْلَكَكُمْ لِإِرْبِهِ.

والمباشرة المذكورة في الحديث بمعنى "الملامسة" والمراد هنا غير الجماع. ومعنى"أملككم لإربه" أي أنه أقوى منكم في التحكم في نفسه صلى الله عليه وسلم فلا يخشى منه من نتاج تلك المباشرة الإنزال أو بواعث الجماع.

لم يترك الرسول صلى الله عليه وسلم أمته دون أن يعلَّمها من هديه مع أهل بيته في رمضان لتتأسى به، ومن ذلك أنه كان صلى الله عليه وسلم يصبح جُنُبًا من جماع، فيدركه الفجر وهو على حاله تلك، ثم يقوم بعد طلوع الفجر فيغتسل ويصوم.

كما كان من هديه صلى الله عليه وسلم في رمضان أن يصب الماء على رأسه وهو صائم، ويتمضمض ويستنشق أثناء صومه مع نهيه عن المبالغة في الاستنشاق، وكان يتسوَّك حال صيامه.

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم في رمضان الحث على قيامه والترغب فيه؛ قال ابن شهاب: عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يرغِّب في قيام رمضان من غير أنْ يأمر بعزيمة، فيقول: "مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" [رواه البخاري 37 ومسلم].

قال ابن شهاب: فتُوفِّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والأمر على ذلك، وكان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر، وصدرٍ من خلافة عمر.

وكان صلى الله عليه وسلم يعتكف في العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل؛ يعيد إليه صلى الله عليه وسلم نفحات خلوته الأولى في غار حراء، مستقلًا بذاته عن الدنيا، ليس في قلبه سوى ربه عز وجل، الذي يتفرغ لذكره ومناجاته، غير أن الإسلام دين الجماعة، فجعل الله الاعتكاف خلوة كل معتكف مع نفسه وربه في إطار الجماعة، ذلك أن الإسلام دين الجماعة.

وفي العام الذي قُبض فيه صلى الله عليه وسلم اعتكف عشرين يومًا. وكان إذا دخل العشر الأواخر أحيا ليله وأيقظ أهله وشد مئزره، مجتهدًا ومثابرًا على العبادة والذكر كما حكت عن ذلك السيدة عائشة رضي الله عنه. كما كان صلى الله عليه وسلم يرغِّب بالاعتمار في رمضان ويعلم من حوله أنَّ عمرة في رمضان تعدل حجة معه، والترغيب في إطعام الصائمين، وتحري ليلة القدر

هذا هو حال رمضان مع النبي صلى الله عليه وسلم، كما عشناه معه صلى الله عليه وسلم ، وكيف كان رمضان شهر له مذاق خاص في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم من الطاعات المضاعفة المتصلة والتي ينتظرها بشغف، ويحييها بحب، ويدعو إليها من حوله كفرصة يغتنمونها، يعرف قدر هذا الشهر رسول له قدر مبعوث لأمة لها قدر، كرمها الله تعالى بصيام وقيام هذا الشهر، فكان التطبيق العملي لها في الاقتداء بنبيها الكريم صلى الله عليه وسلم.

## خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْر

لَيْلَةُ الْقَدْرِ: عظيمة القدر، كثيرةُ الخيرِ، شريفةُ القدرِ، عميمةُ الفضلِ، كثيرة البركة، فيها.. أنزل الله

تعالى القرآن العظيم، وفضلها عنده سبحانه عظيم، وفيها، يقدّر الله الأرزاق والآجال وما هو كائن، أي ما يكون في ذلك العام، فيكتب فيها ما سيجري في ذلك العام من الأجل والأرزاق، والمقادير القدرية.

وقيل ليلة القدر؛ لأن الأرض تضيق بالملائكة لكثرتهم فيها تلك الليلة، من "القدر" وهو التضييق، أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق؛ تعظيمًا له.

ليلة القدر: ليلة قدرها عظيم جليل، وليس لها في دنيا الناس مضارع أو مثيل، وفيها يضاعف الله تعالى كل عمل ولو قليل، حتى جعل العمل فيها خيرٌ من ألف شهر، يقول ابن كثير في تفسيره: (أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر).

عن أنس قال: "العمل في ليلة القدر والصدقة والصلاة والزكاة أفضل من ألف شهر".

والألف شهر تساوي 83 سنة وأربعة أشهر.

ليلة القدر: ليلة أمن وسلام فلا يقدِّر الله تعالى فيها غير الأمن والسلامة، من قامها إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه من الصغائر والكبائر وفضل الله أوسع من ذلك، كما قال الإمام النابلسي، ومن حرمها من المسلمين فقد حرم الخير كله.

ليلة القدر: أنزل الله في فضلها سورة كاملة من سور القرآن العظيم.

ليلة القدر: ليلة حقيقية في المفهوم الإسلامي، معلومة الوقوع، ومتيقن حدوثها، وهي في العشر الأواخر من الشهر الكريم، وفي أوتار هذه الليالي أي في الليالي الفردية لا الزوجية، ولكنها مخفية، وللإخفاء حكمة في تحري المسلم عنها، والدأب على أن يصيبها أو يدركها هو ما لا يجعله يتوانى أو يتكاسل عن بقية الليالي، حتى إذا علمها يقينًا قام ليلتها فحسب، وتحريها في العشر الأواخر تقطع الحديث عن التساؤلات الكثيرة أنها إذا كانت في قطر ليلة فردية وفي القطر الآخر ليلة زوجية، ذلك أن العبد إذا لم يتيقن ليلة القدر، فإنه يجتهد في الطاعة في جميع ليالي رمضان، على رجاء أنه ربما كانت هذه الليلة هي ليلة القدر، فيباهي الله تعالى بهم ملائكته.

يقول الفخر الرازي في تفسيرًا معللًا سر إخفاء ليلة القدر: (إن الله أخفى هذه الليلة لوجوه:

أحدها: أنه أخفاها كما أخفى سائر الأشياء فإنه أخفى رضاه في الطاعات حتى يرغبوا في الكل، وأخفى غضبه في المعاصي ليحترزوا عن الكل، وأخفى الإجابة في الدعاء ليبالغوا في كل الدعوات، وأخفى قبول التوبة ليواظب المكلف على جميع أقسام التوبة.

ثانيها: أنه أخفاها ليجتهد المكلف في طلبها فينال أجر الاجتهاد.

ثالثها: كأن الله يقول: لو عينت ليلة القدر وأنا عالم بتجاسركم على المعصية فربما دعتك الشهوة في تلك الليلة إلى المعصية فوقعت في الذنب فكانت معصيتك مع العلم أشد من معصيتك لا مع علمك.

ولقد ثبت في السنة المطهرة ما يدل على أنها ليلة إحدى وعشرين، وأنها ليلة ثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين، وآخر ليلة من ليالي رمضان المبارك.

كما أنه قد ثبت في الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم:"تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ".

وفي هذا ما يدل على أن هذه الليلة المباركة تتنقل في العشر الأخيرة من رمضان، ولهذا وجب على المسلم أن يتحريها ويجتهد فيها بالعبادة من صلاة وقيام.

ولقد أورد البخاري في صحيحه، قال عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه: إنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَتَلَاحَى رَجُلَانِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ:"إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَإِنَّهُ تَلَاحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، الْتَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالْخَمْسِ".

ليلة القدر: للمسلم فيها أعمال يقوم بها لما ثبت في حقها من فضل معلوم، وهي:

ـ "قيام تلك الليلة"، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. [أخرجه البخاري].

ـ "الدعاء فيها"، لقول السيدة عائشة رضي الله عنها: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: "قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي. [الترمذي].

ـ "الاجتهاد في العبادة فيهها وفي العشر الأواخر"، فعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ" [البخاري ومسلم]، وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ [مسلم].

ـ "الاعتكاف في العشر الأواخر"، ولقد "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانٍ" كما قالت عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري.

وليلة القدر لها علامات، منها الذي لا يصح، ومنها الذي يصح، ومن العلامات الصحيحة: تطلع الشمس صبيحتها لا شعاع لها، ويطلع القمر فيها مثل شق جفنة، قال القاضي عياض: (فيه إشارة إلى أنها إنما تكون في أواخر الشهر لأن القمر لا يكون كذلك عند طلوعه إلا في أواخر الشهر)، أن تكون الليلة معتدلة لا حارة ولا باردة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليلة طلقة لا حارة ولا باردة تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة" [رواه ابن خزيمة وصححه الألباني]، كما أن من علاماتها الصحيحة أنه لا يرمى فيها بنجم، حيث تكون كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم "إنها ليلة بلجة" أي منيرة، لرياح تكون فيها ساكنة أي لا تأتي فيها عواصف أو قواصف، وتكثر فيها الملائكة، ويكون فيها الطمأنينة، والانشراح في الصدر.

ليلة القدر: خير من ألف شهر، تراد للدين لا للدنيا، كما قال ابن باديس، ويستحب أن يكون الاجتهادُ في يومها كالاجتهاد في ليلتها، كما قال الشافعي.

ليلة فضلها عظيم جليل القدر اختص به الله تعالى أمة عظيمة القدر، عرضنا فضلها، لمن أراد القيام بحقها، ويفوز بثواب أفضل من عبادة ألف شهر، وذلك لمن طمع في الثواب وجني الأجر، ومن هرول استجابة لأمر الله تعالى فعمل وامتثل من باب الأدب والطاعة فله فوق الثواب ما لا يعلم قدره إلا الله، فلنجتهد فيها عباد الله.

## مدرسة رمضان لا تغلق أبوابها

لم نكن نعلم ونحن صغارًا ما معنى أن يكون شهر رمضان مدرسة، وكان يقر في وجداننا أنها مدرسة حقيقة تشابه مدارسنا بالفعل، بالطبع لم نكن نعلم المجازي من الحقيقي في التعبير البلاغي، لكن الجملة برمتها قرت في وجداني، وصرت أبحث عنها كمعنى في أسئلة أوجهها لمن حولي، وكانت الإجابات تأتيني ـ غالبًا ـ صادمة من حيث الفهم أو استيعاب شهر رمضان في أهدافه ونتائجه.

لم أفهم مدرسة وفلسفة شهر رمضان إلا بعد أن التحقت بمدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقرأت سيرته، وتعرفت على عبادته في هذا الشهر الكريم، وكيف كان يحفز كل من حوله من الصحابة رضوان الله عليهم، وهذا التحفيز كان وراءه مغزى من ترسيخ معالم شهر الصوم في نفوس الجميع في عصره والعصور التالية.

لم يكن هناك تقصير من الصحابة رضوان الله عليهم حتى يطالبهم الرسول بالتوبة والاستغفار، كما كان يهش صلى الله عليه وسلم ويبش للقاء هذا الشهر قبيل قدومه، ويزيد فيه من العبادات ما لم يكن فعله في شهر غيره، وهو ما يعني أن لرمضان وقع خاص، ومذاق خاص في وجدان هذه الأمة، ولهذا نبه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه مردة الشياطين لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم".

بل ينبههم صلى الله عليه وسلم إلى أن أبواب هذا الشهر تبدأ بالعمل الجاد والتتلمذ فيه والتعبد بكل جدية من الليلة الأولى فيه دون توانٍ ، ذلك أن أبواب شهر رمضان حين تفتح ستفتح معها بالتبعية أبواب الجنة، وأن الملائك ستكون في كل مكان، وفي كل ركن من أركان المساجد، ومجالس الذكر والقرآن، بعد أن خلت الأرض من الشياطين ومردة الجن الذين صفدوا وحبسوا كي لا يعكروا أجواء الصفاء الإيماني لهذا الشهر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين، ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة" [رواه الترمذي وصححه الألباني].

من خصائص مدرسة رمضان أن الأمر في التعلم من مناهجها لا يدور بين الاستحباب والواجب، بل هو على سبيل الفرض بالأمر الوارد في النص الإلهي من محكم التنزيل، والتي توجب الصوم لغاية عظمى وهي بلوغ التقوى، يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183].

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن ما علاقة الصوم بالتقوى؟

ولو لم يكن بينهما علاقة ظاهرة لما ذكرها الله عز وجل في كتابه الكريم، وإن خفيت على المتأمل فيها والباحث عنها، غير أن من المؤكد أن العلاقة بينهما علاقة اتصالية كعلاقة السبب بالنتيجة من حيث التلازم، ذلك لأن الصوم وصلة إلى التقوى لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات كما يقول الإمام البغوي في تفسيره، أو أن الصائم في الغالب تكثر طاعته والطاعات من خصال التقوى كما يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره.

غير أن أهم علاقة حقيقية بين الصوم والتقوى هي من حيث موقعهما الجغرافي من جسم الإنسان، وهو "القلب"، فالتقوى محلها القلب، والصوم محله "القلب" لتميزه بخصوصية لا تتوافر في غيره من العبادات، وهي "السرية" مما يجعل الرقابة فيها رقابة خفية ذاتية تتواصل فيها بوصلة القلب مع الله تعالى الرقيب على العباد وأحوالهم في السر والعلن، والظاهر والباطن، والصوم لا يعرف العلن ولا يهمه، فهي علاقة خاصة بين العبد وربه من حيث الأداء في حال العبد الذي يصوم ويحافظ على صومه منفردًا أو في وسط جماعة، في بلده أو مغتربًا، وعلاقة خاصة بين العبد وربه من حيث الثواب والجزاء.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث يومئذ ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله، يوم القيامة، من ريح المسك" [رواه البخاري ومسلم].

ولعل من يتأمل ارتباط التقوى بالعبادة وحصول الثواب بالكامل عنهما، جاء في الصيام والحج من حيث وجود القيد أو الشرط اللازم لنيل الثواب بتحقق البعد عمَّا يفسد تلك العبادات بالوقوع في المنهي عنه سلفًا، مثل: "من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيومَ ولدته أمه" [البخاري:1521].

ولقد ذكر الله في كتابه الكريم: رمضان شهر الصوم، وأشهر الحج وخاصة ذو الحجة بعضاً إثر بعض، وأشاد بذكرها ونوّه بشأنها، وقد جمعت بينها جامعة، وهي الطاعة، وجامعة المحبة، وجامعة فضل الزمان، أو فضل المكان. فلا صوم إذا لم تكن طاعة، ولا صوم إذا لم تكن محبة وإيثار رضا الله على رضا النفس، ولا حج إذا لم تكن طاعة وانقياد، ولم تكن محبة وإيثار. بهجر الإنسان طعامه وشرابه وشهواته ليصوم ويرضى ربه ويعصي نفسه. ويهجر الإنسان وطنه وسكنه وأهله وراحته ويرضي ربه ويعصي نفسه.

والصوم في رمضان أفضل الأزمان. والحج في مكة وحواليها في أفضل مكان، وفي أفضل أزمان. فاقترن الصوم بالحج، وشابه الحج الصوم، ففي كليهما زهد وصبر وإيثار وهجرة، والصائم يسعى بين الإمساك والفطور ويطوف حول بيت ربه، والحاج يسعى بين الصفا والمروة، وبين مِنَى وعرفات، ويطوف حول بيت ربه، ولكلٍّ عيد، ولكلٍّ فدية، ولكلٍّ تهنئة.

وقد منع الله في الصوم عن الغيبة، وقول الزور، والخصام بصفة خاصة، وقبّح أمرها فقال لنبي صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابّه أحد فليقل إني صائم». وقال عليه الصلاة والسلام: «رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلّا الجوع». وقد نهى الله في الحج عن الرفث والفسوق والجدال، فقال عزّ من قائل: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾.

وقد ظهر في هذه الآيات وفي هذه التوجيهات إعجاز التنزيل وإعجاز التشريع، فإن الصوم، لثقله على النفس وبُعد الصائم عن مألوفاته وهجره لعاداته: مظنّةٌ لغيبة يشفي بها الإنسان نفسه أو يقتل بها وقته، والخوض في خصام أو لجاج لحدّة النفس والغضب لأدنى سبب، فنُهي عن ذلك. وكذلك الحاج مُعرَّضٌ لخطر الرفّث وهو الفحشاء وقلة الحياء، والفسوق والجدال، لبعده عن الأهل، وطول السفر وحصول المشقة والمرور بأحوال مختلفة، والاختلاط بأناس ورفاق، لم يألفهم ولم يألفوه، فالحج مظنّة لكل ذلك فحذَّر الله الحاج في سبيله القاصد لبيته عن كل ذلك، ولا يعلم ذلك إلّامن أحاط علمه بكل شيء، وعرف طبيعة الإنسان ومواضع ضعفه وسقطته، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

وقد شمل الصوم والحج أنواعاً من الطاعات، وضروباً وأساليب من البرّ والعبادات، ليست معرضة ولا داخلة في صميم الصوم والحج ، كالانفاق والمواساة والرحمة والخدمة والبرّ، والصدقة والقيام وإحياء الليالي، والتسبيح والتلاوة، تُقوّي الصوم والحج وتكثِر ثوابهما وفضلهما، فقال العليم الحكيم: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ﴾.

وحثّ على التزوّد للقيام بالحج في عفة ونزاهة، والتزوّد للآخرة بالإكثار من الخيرات، وأنواع العبادات، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾، وقد أمر الصائم بالتزوّد لصومه كذلك، وهو التسحّر الذي يقوّي على الصوم ويعين عليه، والحاج يأخذ الزاد والراحلة، وهنا اقترن الصوم بالحج كذلك، فكلاهما يجري في رهان واحد.[تأملات في القرآن الكريم: الإمام أبو الحسن الندوي ـ بتصرف].

ويتصل بالحديث السابق اتصالًا وثيقًا، الالتزام بالنهج التعليمي الصارم في الحفاظ على الصوم الذي سيفوز فيه الصائم بثواب الله الكامل، وهو الشرط الوارد في كيفية الصيام النوعي من حيث جودة الأداء التي تشير إليها مقاييس الجودو والكفاية والإتقان في الأداء، وهو أن: "الصيام جنة" بمعنى الوقاية من سوء الخلق والسفه والجهل، وارتكاب المعاصي، وفي الصيام وقاية للعبد الصائم صيامًا صحيحًا من البعد عن النار، والوقوع فيها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الصيام جنة من النار كجنة أحدكم من القتال"[رواه أحمد والنسائي]. والحفاظ على الصوم من جانب الصائم سينمي فيه بالتبعية، قوة الإرادة، والعزيمة الصادقة التي لا تلين ولا تضغف مهما كانت الإغراءات، والصبر، وهذا أهم ما في هذا الشهر وما اشتهر عنه من كونه شهر الصبر، الصبر عن المعاصي، بمقاومتها والابتعاد عنها، والصبر على جِهاد النَّفس ومقاومة اغراء وإغواء الشيطان، والصبر على الطاعات بإتيانها مهما كان في إتيانها من مشقة، لتضيق السب على الشيطان وعلى النفس ببلوغ خلق العبد الصائم أبلغ غايات الكمال في صومه وعبادته، والنجاة بها ممن يحاولون إفسادها، وبالتالي تفويت الفرصة عليه بالفوز بالثواب الإلهي.

يقول أمير الشعراء أحمد شوقي في كتابه "سوق الذهب": (الصَّوم حِرْمانٌ مشروع، وتَأديب بالجُوع، وخُشُوع لله وخُضُوع، لكلِّ فريضةٍ حكمة، وهذا الحكم ظاهره العذابُ، وباطِنه الرَّحمة، يُعَوِّد الإنسانَ الصَّبْرَ، ويُعَلِّمه خِلال البِر، فإذا جاع مَن أَلِف الشَّبع، عَرَف الحرمان كيف يقع، والجوع كيف أَلَمُه إذا لَذَع).

والخروج من إلف العادة إلى رحابة وحلاوة العبادة، بالكف عن المعصية، بلزوم الطاعة، هو ما يتحقق للتلميذ النجيب في مدرسة الصيام، حيث يستطيع أن يقف أمام الشراهة في الإقبال على الطعام ليكسر شهوة البطن، كما يقف الصيام سدًا منيعًا أمام النهم الجنسي عند بعض من يطلبون المتعة الحرام ويبتعدون عن طرق أبواب الحلال استسهالًا واستهانة، وجرأة على الخالق العظيم، كما يستطيع الصيام أن يكف عين المسلم عن الولوغ فيما حرم الله تعالى، كما يستطيع المسلم الصائم بحق أن يتخلص من عبودية السيجارة له أو أي نوع من أنواع التدخين، ذلك أن هناك من يظن أن بعض التدخين أهون من بعض وهو واهم في هذا أشد الوهم، بل هو في دائرة المنهيات التي تخالف المقاصد التي يلزم بها الشارع الحكيم في الحفاظ على النفس، وبارتكابه لأي نوع من أنواع التدخين يكون قد وقع في إثم المخالفة.

إن الخصيصة الهامة في الصوم كمدرسة ربانية حين يتلقى فيها العبد الصائم الطائع هذه التربية الإيمانية العالية، إلى جانب ضمان الفوز بالثواب له من الله تعالى، إذا هو التزم التزامًا تامًا بآداب وأحكام الصيام، ونال من قلبه الاهتمام، والتوقير، والبعد عن الرياء، والسباب، والفحش، والفسوق.

لهذا كانت الإضافة التي فيها التشريف "الصيام لي وأنا أجزي به"، ذلك أن الرياء يحصل مرة بالقول، وأخرى بالفعل، وهذا الثاني لا يدخل الصوم، وأما الأول فقد يدخل الصوم كمن يتبجح بخبره أنه صائم، فهو من هذه الحيثية يدخله الرياء، كما يقول ابن حجر، واختار في دفع الإيراد أن الرياء الذي حصل إنما حصل من القول، ولم يكن حصل بنفس الصيام الذي وصف بأنه لا يدخله الرياء، وإنما حصل مِن أمر زائدٍ على الصيام، وقد اختار بعض العلماء في التأويل أنَّ الصيام لم يعبد به غير الله تعالى، وهو من تمام الخلوص في النية لله، والخلوص في تحري النجاة بالصيام كعبادة من المفاسد المنهي عنها، والإخلاص في أداء الصيام على الوجه الأكمل تنفيذًا لأوامر الله تعالى، ومحبة فيه سبحانه، وخوفًا منه.

ولئن عاد بي الزمان دورته، وطرحت السؤال على نفسي، ماذا يعني أن الصيام في شهر رمضام مدرسة؟ لأجبت: أن ما تعلمته في هذه المدرسة من التحلي بالصبر، ودفع الإساءة بالحسنة، وكظم الغيظ، والتحكم في آليات نفسي داخليًا وخارجيًا، من المحافظ على اتزاني الداخلي، وإشاعة السلام في نفسي، والبعد عن المكدِّرات، وعمَّا عساه يجلب الغضب، الذي يؤدي إلى التشاجر، والسباب، ، كما تعلمت في هذه المدرسة التنافس في المحمود من الأمور من محاولة التنافس في الخيرات، واكتساب الثواب، والجهاد ببث النشاط في النفس من أجل كسب العيش، وأداء الفرائض، والمواظبة على تلاوة القرآن الكريم في رمضان وغيره، والحرص على البسمة في وجه أخي المسلم، وعدم التعلل بالصيام ومتاعبه، وإظهار الفرح بقدوم رمضان شهر الطاعات والقربات بديلًا عن التأفف منه، والعبوس من اقتراب أيامه.

**دعوة الرافعي للعالم إلى الدخول في مدرسة رمضان:**

يرى أديب العربية الكبير الراحل مصطفى صادق الرافعي أن الصوم مدرسة الثلاثين يومًا، وينصح بأن تكون عالمية، ويدعو العالم إلى معرفتها وتطبيقها، ذلك أن شمول الصوم لمقومات التهذيب والتأديب والتدريب تجعل الناس فيه سواء: ليس لجميعهم إلا شعورٌ واحد، وحسٌّ واحد، وطبيعة واحدة، ويُحْكِمُ الأمر؛ فيحول بين البطن وبين المادة، الأمر الذي يضع الإنسانية كلها في حالة نفسية واحدة، تتلبس بها النفس في مشارق الأرض ومغاربها، ويطلق في هذه الإنسانية كلها صوت الروح يُعَلِّم الرحمة، ويدعو إليها، فَيُشْبِع فيها بهذا الجوع فكرةً معينة هي كل ما في مذهب الاشتراكية من الحق، وهي تلك التي يكون عنها مساواة الغنيّ للفقير من طبيعته، واطمئنان الفقير إلى الغني بطبيعته.

ومن هذين: الاطمئنان والمساواة يكون هدوء الحياة بهذه النفسين اللتين هما السلب والإيجاب في هذا الاجتماع الإنساني.

وأن الرحمة الناشئة عن الألم، وهذا بعض السر الاجتماعي العظيم في الصوم؛ في التدقيق في منع الغذاء، وشبه الغذاء عن البطن وحواشيه مدة آخرها آخر الطاقة؛ فهذه طريقة عملية لتربية الرحمة في النفس، ولا طريقة غيرها إلا النكبات والكوارث؛ فهما طريقتان كما ترى: مبصرة وعمياء، وخاصة وعامة، وعلى نظام وعلى فجأة.

ومتى تحققت رحمة الجائع الغني للجائع الفقير أصبح للكلمة الإنسانية الداخلية سلطانها النافذ، وحكم الوازع النفسي على المادة، فيسمع الغني في ضميره صوت الفقير يقول: أعطني، ثم لا يسمع منه طلبًا من الرجاء، بل طلبًا من الأمر لا مفر من تلبيته والاستجابة لمعانيه، كما يواسي المبتلى مَنْ كان في مثل بلائه.

ويدعو الرافعي العالم كله، بيقين صادر عنده من القلب والعقل، إلى تعميم هذا الصوم الإسلامي، وسيكون بالتزامهم بما فيه من مبادئ وأحكام وفلسفة، إجماعًا من الإنسانية كلِّها على إعلان الثورة شهرًا كاملاً في السنة؛ لتطهير العالم من رذائله وفساده، ومحق الأثرة والبخل فيه، وطرح المسألة النفسية؛ ليتدارسها أهل الأرض دراسة علميةً مدةَ هذا الشهر بطوله؛ فيهبط كل رجل، وكل امرأة إلى أعماق نفسه ومكامنها؛ ليختبر في مصنع فكره معنى الحاجة ومعنى الفقر، وليفهم في طبيعة جسمه ــ لا في الكتب ــ معاني الصبر والثبات والإرادة، وليبلغ من ذلك وذلك درجات الإنسانية والمواساة والإحسان؛ فيحقق بهذه وتلك معاني الإخاء، والحرية، والمساواة.

ولا يكتفي الرافعي بدعوة العالم للدخول في مدرسة رمضان وحسب، بل يَتَعهَّدون في مدرسة الثلاثين يومًا نفوسهم برياضتها على معالي الأمور، ومكارم الأخلاق، وبفهم الحياة على وجه آخر غير وجهها الكالح، ويراها كأنما أجيعت من طعامها اليومي كما جاع هو، وكأنما أفرغت من خسائسها وشهواتها كما فرغ هو، وكأنما أُلزمت معاني التقوى كما ألزمها هو، ذلك أن شهر رمضان هو أيام قلبية في الزمن، لن يضير الإنسانية كلها شيء حين تحذف من تاريخها تاريخ البطن ثلاثين يومًا في كل سنة؛ ليحل في محله تاريخ النفس.

لا يرى الرافعي في غير مدرسة الصوم طريقة عملية تضاهيها في الكون، ولهذا فهو يؤكد بيقين: (إنها والله طريقة عملية لرسوخ فكرة الخير والحق في النفس، وتطهير الاجتماع من خسائس العقل المادي، ورد هذه الطبيعة الحيوانية المحكومة في ظاهرها بالقوانين، والمحررة من القوانين في باطنها، إلى قانون من باطنها نفسه يُطهِّر مشاعرها، ويسمو بإحساسها، ويصْرِفُها إلى معاني إنسانيتها، ويهذب من زياداتها، ويحذف كثيراً من فضولها، حتى يرجع بها إلى نحو من براءة الطفولة، فيجعلها صافيةً مشرقةً بما يجتذب إليها من معاني الخير والصفاء والإشراق؛ إذ كان من عمل الفكرة الثابتة في النفس أن تدعوَ إليها ما يلائمها ويتصل بطبيعتها من الفِكَرِ الأخرى).[مصطفى صادق الرافعي، فلسفة الصيام].

تعلمتُ في مدرسة الصوم كل الفضائل التي يدعونا إليها الدين بهدوء وروية، من استثمار الأوقات في الطاعات، واستثمار الوقت في كل ما يفيد في الحياة بوجه عام، وأن الصدق مقياس ثابت في القول والعمل في رمضان وغيره، وأن البعد عن الغيبة والنميمة مرض اجتماعي يجب أن نتخلص منه في رمضان وفي غيره من الأيام، ولهذا كان أهم ما يميز رمضان هو العودة لنقطة النظام الأولى في الإسلام، وكأننا حين نذهب بالسيارة للتوكيل الخاص بها لصيانتها وتغيير بعض أجزاءها لتعود لحالتها التي كانت عليها وقت امتلاكها، مع الفارق في التشبيه، مثلما يدخل المسلم في مدرسة رمضان من أجل رفع معدلاته في كل الوجوه الدينية والتي تترك أثرها، وتعكس صداها على كل ما يتصل بأداء المسلم في دنياه: نفسه، بيته، عائلته الصغرى وعائلتهالكبرى، عمله، أصدقائه، جيرانه، بيئته التي يعيش فيها، حيث تتآلف كل أجزاء منظومته الحياتية، التي تكون قد أصابها، الوهن، والكسل، والتراخي، والإهمال، وبعض الصفات السلبية من التعاملات في سوق الدنيا، ووقوعه في براثن بعض حبائلها دون أن يدري أو يدري.

ومن هنا أختلف مع من يقول أن مدرسة رمضان تفتح أبوابها لمدة ثلاثين يومًا ثم تمضي لحالها، ويعود المسلم على ما كان عليه من قبل أن "يترمضن"، أي يتعلم من أخلاقياته ومنهجه، أن دور رمضان الحقيقي هو في دفع المسلم بعد تخرجه منه لكي يمضي في حياته بعدها على نفس الوتيرة الخاصة بالمنهج الإسلامي كدين، فيه العقيدة، والأخلاق، والسيرة، والفقه، والعلم والعمل، والدين والدنيا، والعين على الآخرة من حيث التوازن الكلي الذي يشكل تكوينه النفسي والعقدي، وأنه كلما فترت قوته وهمته وبعدت بينه المسافات بعيدًا عن أجواء رمضان، كلما اقترب من رمضان القادم يعيد صياغته من جديد، لتجديد همته، وشحن طاقته، غير أن هناك ما يدعم قوته الإيمانية: الصلوات الخمس المكتوبات، والجمعة، والعمرة، ثم رمضان، فقد روى مُسلم، عن أبي هريرة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم، قال: "الصَّلَوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مُكَفرات لما بَيْنَهُنَّ إذا اجْتُنِبَتِ الكبائر".

وهل ينتهي صيام الجوارح عن الرفث والفسوق مع انتهاء مدرسة رمضان؟!

هذا ما يرفضه ابن الجوزي حين يؤكد: (ما من جارحة في بدن الإنسان إلا ويلزمها الصوم في رمضان وفي غير رمضان، فصوم اللسان: ترك الكلام إلا في ذكر الله تعالي، وصوم السمع: ترك الإصغاء إلى الباطل، وما لا يحل سماعه، وصيام العينين: ترك النظر والغض عن محارم الله [ابن الجوزي، بستان الواعظين].

ذلك أن الصوم يلزم أن تصوم جميع جوارح الإنسان معه، وإذا صام الإنسان فيلزمه أن لا يجعل يومه صومه كيوم فطره سواء بسواء.

ومن هنا أقول بعد كل ما تقدم: أن مدرسة رمضان لا يمكن أن تغلق أبوابها أبدًا، وأن المسلم الحق هو الذي يستفيد من رمضان كداعم أساسي له في أخلاقه، وعباداته، وطاعاته، حيث أن الأصل أنه استمدها من دينه الحق الجامع لكل الفضائل، وأن يحافظ على مكاسبه الإيمانية حتى يلقى وجه الله تعالى.

## رحمة الله تتجلى في الصيام

كلما قرأتُ آيات الله في صيام رمضان أحس بمظاهر الرحمة الإلهية تتجلى على عباده على الرغم من أنها عبادة مفروضة عليهم، وفيها ما فيها من جهاد النفس في الامتناع عمَّا أحل الله تعالى وأخرج من الطيبات، مما يجعل الاختبار شديدًا، حين يمتنع الصائم عن حلال كسبه من رزقه حلالًا طيبًا، ولم يكن مالًا منهوبًا أو مختلسًا أو مغصوبًا، وحين يمتنع بإرادته الحرة المنفردة عن التلذذ بحليلته ولو كانا معًا في خلوة في نهار رمضان، مهما كانت الدواعي والأسباب.

ومع هذا تتجلى رحمة ربي الرحيم بعباده حين فرض الصيام ولكن مع التدرج التشريعي وهي رحمة غالبًا ما تلازم الشعائر التعبدية في الإسلام، وأولها الصلاة التي فُرضت على ثلاث مراحل، وهي: المرحلة الأولى، وهي فرض قيام الليل ثم نسخه، بعد أن فرضه الله على المسلمين عامًا كاملاً, ثم نزل التخفيف في آخر السورة، بينما ظل فرضًا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت المرحلة الثانية قاصرة على صلاة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي.

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهَا قَالَتْ: "فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ، وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ" [البخاري: 346].

وكانت المرحلة الثالثة من مراحل فرض الصلاة حين فرضت الصلوات الخمس ليلة الإسراء.

وهي ذات الرحمة الإلهية التي واكبت التدرج في فرض الصيام على ثلاث مراحل، وهو ما ذكره الإمام ابن كثير, وهي:

المرحلة الأولى: صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصيام عاشوراء:

وكانت حين قدم الرسول صلى عليه وسلم المدينة، فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيامٍ, وصام عاشوراء. ثم أنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183].

المرحلة الثانية: مرحلة التخيير في فرض الصيام:

فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكينًا، فأجزأ عنه، قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: 184]. ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 184].

المرحلة الثالثة: الصيام على من شهد شهر رمضان:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: 185]. ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: 185]. ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 185].

فأثبت الله عز وجل صيامَ رمضان على المقيم الصحيح, ورخَّصَ فيه للمريض والمسافر, وثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام.

بين الإمام ابن القيّم الجوزية في كتابه "مفتاح دار السّعادة" الحكمة من التدرّج الإلهي والتشريعي في فرض الصيام، فيقول: (لمّا كان ــ أي: الصّوم ــ غيرَ مألوفٍ لهم، ولا معتادٍ، والطِّباعُ تأباه؛ إذ هو هجرُ مألوفِها ومحبوبِها، ولم تذقْ بعدُ حلاوتَه وعواقبَه المحمودةَ، وما في طيِّه من المصالح والمنافع، فخُيِّرت بينه وبين الإطعام، وندبت إليه، فلمّا عرَفَت علّته وألِفَتْه، وعرفت ما تضمّنه من المصالح والفوائد، حُتِم عليها عينًا، ولم يقبل منها سواه، فكان التّخيير في وقته مصلحةً، وتعيينُ الصّوم في وقته مصلحة، فاقتضت الحكمة البالغة شرعَ كلِّ حكمٍ في وقته؛ لأنّ المصلحة فيه في ذلك الوقت).

وتتجلى الرحمة الإلهية حين أباح الله تعالى للمريض والمسافر الفطر في رمضان، رحمة بالعباد وتيسيرًا عليهم، وهو الذي أعطى للفقهاء قدرًا كبيرًا من الاختلاف حول المرض المبيح للفطر، وهذا أيضًا من تجليات الرحمة الواردة في آيات الله المتعلقة بالصيام، والتي راعت المريض كما راعت المسافر، وراعت أحوال المرأة أثناء الصيام.

وقد استدل جمهور الفقهاء على أن المرض اليسير الذي لا كلفة معه لا يبيح الإفطار بقوله تعالى في آية الصيام: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]. فالآية قد دلت على أن الفرض من الترخيص، وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله إنما أراد بهذه الأمة اليسر ولم يرد بهم العسر".

يقول الشيخ محمد على الصابوتي في كتابه "روائع البيان في تفسير آيات الأحكام": (إن الحكمة التي من أجلها رُخّص للمريض في الإفطار هي إرادة اليسر، ولا يراد اليسر إلاّ عند وجود المشقة، فأي مشقةٍ في وجع الأصبع، أو الصداع الخفيف والمرض اليسير، الذي لا كلفة معه في الصيام؟ ثمّ إن من الأمراض ما لا يكون شفاؤه إلا بالصيام، فكيف يباح الفطر لمن كان مرضه كذلك؟ ولم يكلفنا الله جلّ وعلا إلاّ على حسب ما يكون في غالب الظن، فيكفي أن يظهر أن الصوم يكون سببًا للمرض، أو زيادة العّلة، أما الإطلاق فيه أو التضييق فأمرٌ يتنافى مع إرادة اليسر بالمكلفين).

ويكفي للتعرف على أحوال المسافرين في رمضان، في قوله تعالى:﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: 185].

لقد أعفاهما الله من الصيام حتى يزول عنهم عذر السفر والمرض، مع تقديم الإشارة إلى هذه الرخصة التي سبقت تفصيل أحكام الصيام، قال الطاهر بن عاشور: (وتقديمه هنا قبل ذكر بقية تقدير الصوم تعجيل بتطمين نفوس السامعين لئلا يظنوا وجوب الصوم عليهم في كل حال.إن من شواهد رحمة الله ولطفه إعفاء المرضى والمسافرين من الصيام .و التعجيل ببيان هذه الرخصة).

ولقد بقي الصيام تحت التّخيير في مراحل فرض الصوم على الّذين لا يُطيقونه، أو يُطيقونه مع شدّة وضرر، فعن عبد الله بنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أنّه لما قرأ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: 184]، قال رضي الله عنه: " لَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ، هُوَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْمَرْأَةُ الْكَبِيرَةُ لَا يَسْتَطِيعَانِ أَنْ يَصُومَا فَيُطْعِمَانِ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا " (رواه البخاري). ويقصد بـــ "يطيقونه" في هذه المرحلة: أي يشق عليهم.

ومن رحمة الإسلام بالمرأة حين ألحق الفقهاء الحامل والمرضع بمنطوق الآية الكريمة السابقة، مع الشيخ الكبير، والمرأة الكبيرة، وكل من يصيبه الصوم بالإجهاد، فعليهما الفدية كما تجب على الشيخ الكبير. وإذا خافت الحبلى والمرضع على نفسيهما أو على ولديهما أفطرتا، لأن حكمهما نفس حكم المريض، أي تفطر وتقضي. وهذا باتفاق الفقهاء، ولكن الاختلاف بينهم تمثل في:

هل يجب عليهما ـ أي: المرضع والحامل ـ القضاء مع الفدية، أم يجب عليهما القضاء فقط؟

ولقد ذهب أبو حنيفة إلى أن الواجب عليهما هو القضاء فقط، وذهب الشافعي وأحمد إلى أن عليهما القضاء مع الفدية.

ولقد كان من رحمة الله تعالى بالمرأة أنها إذا حاضت أو نفست أنها لا تؤمر بالصيام، بل تنهي عن الصيام في حالتها تلك، ولو صامت أثمت ولم يصح صومها، وقد أجمع العلماء على تحريم الصوم على الحائض، وأنها يلزمها قضاء ما أفطرته بسبب الحيض إذا كان الصوم واجبًا كصيام رمضان.

وأذكر في هذا الموضع ما قاله شيخ الإسلام في "مجموع الفتاوى" حول حِكْمَةَ منع الْحَائضِ من الصوم:

(إنَّ الشَّرْعَ جَاءَ بِالْعَدْلِ فِي كُلِّ شَيْءٍ . وَالإِسْرَافُ فِي الْعِبَادَاتِ مِنْ الْجَوْرِ الَّذِي نَهَى عَنْهُ الشَّارِعُ وَأَمَرَ بِالاقْتِصَادِ فِي الْعِبَادَاتِ ; وَلِهَذَا أَمَرَ بِتَعْجِيلِ الْفِطْرِ وَتَأْخِيرِ السُّحُورِ وَنَهَى عَنْ الْوِصَال، فَالصَّائِمُ قَدْ نُهِيَ عَنْ أَخْذِ مَا يُقَوِّيهِ وَيُغَذِّيهِ مِنْ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، ونُهِيَ عَنْ إخْرَاجِ مَا يُضْعِفُهُ وَيُخْرِجُ مَادَّتَهُ الَّتِي بِهَا يَتَغَذَّى وَإِلا فَإِذَا مُكِّنَ مِنْ هَذَا ضَرَّهُ وَكَانَ مُتَعَدِّيًا فِي عِبَادَتِهِ لا عَادِلا).

يبين ابن تيمية أنواع الخارج من الإنسان، فيقول: (وَالْخَارِجَاتُ نَوْعَانِ: نَوْعٌ يَخْرُجُ لا يَقْدِرُ عَلَى الاحْتِرَازِ مِنْهُ أَوْ عَلَى وَجْهٍ لا يَضُرُّهُ فَهَذَا لا يُمْنَعُ مِنْهُ كَالأَخْبَثَيْنِ (البول والغائط) فَإِنَّ خُرُوجَهُمَا لا يَضُرُّهُ وَلا يُمْكِنُهُ الاحْتِرَازُ مِنْهُ أَيْضًا. وَلَوْ اسْتَدْعَى خُرُوجَهُمَا فَإِنَّ خُرُوجَهُمَا لا يَضُرُّهُ بَلْ يَنْفَعُهُ. وَكَذَلِكَ إذَا ذَرَعَهُ الْقَيْءُ (أي غلبه) لا يُمْكِنُهُ الاحْتِرَازُ مِنْهُ وَكَذَلِكَ الاحْتِلامُ فِي الْمَنَامِ لا يُمْكِنُهُ الاحْتِرَازُ مِنْهُ ، وَأَمَّا إذَا استقاء فَالْقَيْءُ يُخْرِجُ مَا يَتَغَذَّى بِهِ مِنْ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . . وَكَذَلِكَ الاسْتِمْنَاءُ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ الشَّهْوَةِ . . وَالدَّمُ الَّذِي يَخْرُجُ بِالْحَيْضِ فِيهِ خُرُوجُ الدَّمِ، وَالْحَائِضُ يُمْكِنُهَا أَنْ تَصُومَ فِي غَيْرِ أَوْقَاتِ الدَّمِ فِي حَالٍ لا يَخْرُجُ فِيهَا دَمُهَا فَكَانَ صَوْمُهَا فِي تِلْكَ الْحَالِ صَوْمًا مُعْتَدِلا لا يَخْرُجُ فِيهِ الدَّمُ الَّذِي يُقَوِّي الْبَدَنَ الَّذِي هُوَ مَادَّتُهُ وَصَوْمُهَا فِي الْحَيْضِ يُوجِبُ أَنْ يَخْرُجَ فِيهِ دَمُهَا الَّذِي هُوَ مَادَّتُهَا وَيُوجِبُ نُقْصَانَ بَدَنِهَا وَضِعْفَهَا وَخُرُوجَ صَوْمِهَا عَنْ الاعْتِدَالِ فَأُمِرَتْ أَنْ تَصُومَ فِي غَيْرِ أَوْقَاتِ الْحَيْضِ).

إن منع المرأة من الصيام في حالتي الحيض والنفاس مرده ضعف بنيان المرأة الذي يلزمها بالحصول على قسط وافر من الراحة والطعام والشراب، فلم يناسبها إيجاب الصيام عليها، بل إن الله تعالى رحمة بها وضع عنها الصلاة المفروضة، ويجب عليها أن تقضي بعدد الأيام التي أفطرتها من رمضان، ووقت القضاء موسع لها من رمضان الذي أفطرت فيه إلى رمضان الآخر، ولا يجوز لها تأخير القضاء إلى ما بعد رمضان الآخر بغير عذر.

وأرى مع من يرى من أن التماس بعض العلماء للحكمة العلنية أو الخفيىة لمنع الحائض من الصوم بالتعليل بما يحصل لها من الضعف، فإن هذا لا يوجب لها أنها إذا كانت لا تضعف بسبب الصوم وتطيقه وهي حائض أو نفساء أن تصوم، ذلك أن ما يذكرونه من حكمة للحكم، وليس علة يدور معها الحكم وجودًا وعدمًا، بل هي ستظل ظنية لا يمكن لها بأي حال مهما بلغت وجاهتها أن تقضي على النصوص الثابتة في الصحيحين، وإنما كل ما في الأمر أنه يستأنس بها في معرفة أسرار الشريعة وغاياتها المحمودة.

والواجب على المؤمن هو التسليم المطلق لحكم الله تعالى والانقياد له حتى وإن يغابت عنه الحكمة منه؛ فيكفيه أنه أمرٌ له صادر من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً﴾ [الأحزاب:36]. كما قال عز وجل في محكم تنزيله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:51].

وأعود إلى ما كنت قد بدأته من أن آيات الله في صيام رمضان فيها الكثير من شواهد الرحمة الإلهية التي تتجلى على عباده على الرغم من أنها عبادة مفروضة عليهم، وفيها ما فيها من المشقة، ولكنه اللطيف الخبير بعباده، العليم بأحوالهم، فرض الفرض، وجعل له الرخص التي يستعملونها عند الحاجة إليها تخفيفًا عليهم، وتيسيرًا لهم، ودفعًا للحرج عنهم، وما يريد بهم سبحانه إلا اليسر.

## توديع الصحابة وتوديعنا لرمضان

سأل أحد المسلمين الشيخ: هل عُرِفَ التوحيش في زمن النبي صلى الله عليه وسلم؟ فأجابه الشيخ: لم يرد في الكتاب ولا السنة ما يسمى بالتوحيش، وإذا لم يكن الأمر تعبديًا، ولم يعتقد من يمارسون التواحيش إنه ليس عبادة بل هو على سبيل الإنشاد وكانت النية فيه على ذلك فهذا جائز، من باب وإنما الأعمال بالنيات، ويتشدد البعض فيرى أن النشيد على المآذن وَغَيرهَا بتوديع رَمَضَان والمقصود به التوحيش بِدعَة قبيحة يجب أَن تتْرك.

وتبدأ أيام التواحيش مع بدايات العشر الأواخر من رمضان المبارك، والتواحيش غير التواشيح ويصوب البعض نطقها فيردها إلى أصلها "تواشيح" وهي تلك الأناشيد والأغنيات والقصائد التي تتسم كلماتها بوداع شهر رمضان وخاصة في الجمعة الأخيرة من رمضان تلك التي تسمى بالجمعة اليتيمة، وغالبًا ما يحرص من يؤديها على إظهار مدى الحزن والتفجع على اقتراب رحيل أيام هذا الشهر الذي تفر أيامه سراعًا، سواء أكان من يؤديها من المغنين، أو المنشدين، أو حتى المسحراتي: لا أوحش الله منك يا شهر رمضان.. يا شهر القرآن.. يا شهر المصابيح.. يا شهر التراويح.. يا شهر المفاتيح لا أوحش الله منك يا شهر الصيام، لا أوحش الله منك يا شهر القيام، لا أوحش الله منك يا شهر العزايم، لا أوحش الله منك يا شهر الولائم.

و"لا أوحش الله منك"، أي لا أذهبك الله، فتوحش أحباءك من جانبك بالفراق، كما قال الخوارزمي في معناها، ومبناها عند كل مسلم وإن لم يملك بلاغة الشعراء الذين ملأت أبياتهم الغارقة النائحة على حرقة فراق الشهر الحبيب عشرات الدواوين، أو من الأدباء الذين يملكون ناصية الكلم المنثور في بث لواعج الأسى ما كتبوه في مقالاتهم وحفظت الدنيا مقولاتهم، وهذا ما يعني أن التواحيش وإن كانت بدعة من ارتباطها بعبادة لو ظن صاحبها ذلك مرفوض أو بدعة تدور بين السيئة والحسنة كما يذهب في ذلك من ينتصر لها أو يهاجمها، إلا أن التواحيش والشوق إلى لقاء رمضان، وحر البكاء الثخينات من المآقي، كلها تأتي من انفعال إنساني لا يستطيع أن يمنعه أحد بفتوى هنا وهناك، وإذا قيل أنها ـ أي التواحيش ـ معروفة منذ القرن السادس الهجري، إلا أن هذا لا يمنع أن وداع رمضان كان له مذاق آخر عند من سبق من الصحابة رضوان الله عليهم.

رُوي عن علي رضي الله عنه أنَّه كان يُنادي في آخِر ليلة من شهر رمضان: "يا ليتَ شِعري! مَن هذا المقبول فنهنيَه، ومَن هذا المحروم فنعزيَه".

وكان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول عندَ رحيل الشهر: "مَن هذا المقبولُ منَّا فنهنيَه، ومَن هذا المحروم منا فنعزيَه، أيُّها المقبول هنيئًا لك، أيها المردود جبَر الله مصيبتَك".

كانوا يعلمون أن الرحيلَ سنة من سنن الله الكونية، ولهذا كانوا يجتهدون في إتْمام العمل وإكماله وإتْقانه، ثم يهتمُّون بعدَ ذلك بقَبوله، ويخافون مِن ردِّه، وهؤلاء الذين قال الله عنهم: ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: 60]"، كما يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي.

مدار الأمر على الاستيحاش من رمضان ومرور أيامه سراعًا لم يكن التعويل فيها على وداعه فحسب، وعلى العمل الذي عمله المسلم الصائم القائم فحسب، بل كان مدارُ الوحشة بين الرجاء من الله أن يقبل العمل، والخوف كل الخوف أن يرد على العاملين عملهم، حال الوداع نابع من فهم عميق لقول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: 60]، فكانوا يدعون الله تعالى ستة أشهر حتى يبلغهم رمضان، فإذا بلغوه اجتهدوا في العبادة فيه، ودعوا الله سبحانه ستة أشهر أخرى أن يتقبَّل منهم رمضان؛ خوفًا من ردِّه.

ولقد كان الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي من حوله بقوله: "كونوا لقَبول العمل أشدَّ اهتمامًا منكم بالعمَل"، ألم تسمعوا الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27].

تقول أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: سألتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: 60]، قالت عائشةُ: أَهُمُ الذين يَشربون الخمر ويسرِقون؟ قال: "لا يا بنتَ الصِّدِّيقِ، ولكنَّهم الذين يصومون ويصلُّون ويتصدَّقون وهم يخافون ألاَّ يُقبَل منهم، أولئك الذين يُسارعون في الخيراتِ وهُم لها سابقون".

وكانوا يحرصون على الاستغفار حرصهم على قبول العمل مع رحيل رمضان، ذلك أن الإستغفار ختام الأعمال الصالحة كلها فيختم به الصلاة والحج وقيام الليل ويختم به المجالس فإن كانت ذكرا كان كالطابع عليها وإن كانت لغوا كان كفارة لها فكذلك ينبغي أن تختم صيام رمضان بالاستغفار، كما يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي في لطائف المعارف.

ولما تقدم علمه كان الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز يكتب آمرًا الأمصار أن يختموا شهر رمضان بالاستغفار وصدقة الفطر فإن الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث؛ فالاستغفار يرقع ما تخرق من الصيام باللغو والرفث.

واستيحاش رمضان وانتظاره أمر جبلي إنساني، نرجو بلوغه في العام القادم، ونرجو من الله أن يتقبل أعمالنا في العام الذي نحن فيه.

وأقول كما قال ابن الجوزي في "التبصرة": (عباد الله إن شهر رمضان قد عزم على الرحيل، ولم يبق منه إلا القليل، فمن منكم أحسن فيه فعليه التمام، ومنْ فَرط فليختمه بالحسنى والعمل بالختام، فاستغنموا منه ما بقى من الليالي اليسيرة والأيام، واستودعوه عملًا صالحًا يشهد لكم به عند الملك العلاّم، وودعوه عند فراقه بأزكى تحية وسلام).

## الخاتمة

رزقني الله في فترات النهار والليل قدرًا من الوقت للتأمل في بعض الزوايا في شهر رمضان المبارك، وحرصت أن أجمعها لما قد يكون فيها من نفع وخير للمسلمين؛ فقد تلفت انتباه من لا يعلم كل هذا الخير والفضل في هذا الشهر، أو أنه يقصر الفضل فقط في مجرد الصيام مع البقاء على ما في شخصه من عادات وآثام، ويظن أن المهم أن يمتنع عن الشراب والطعام، ولا يمتنع عن السيء من الغيبة والنميمة والفحش والبذاءة في الكلام، ومنهم من يصوم ويترك الصلاة ظنًا منه أن رمضان هو شهر الصيام وهو الأهم، ومنهم من لا يمتنع عن الحلف الكاذب في البيع والشراء، والسعي بين الناس بالوقيعة والخصام، ومنهم من يصوم ويصلي وفي داخلة غصة من شهر رمضان يتمنى رحيله، ويتأفف من قدومه، ومنهم من يظن أن هذا الشهر هو الأهم فيه جني الملذات من صنوف الطعام وألوان الشراب، ومنهم من يقضيه في مشاهدة الأفلام والمسلسلات بدعوى الصبر على الصيام، ودفع الجوع عنه بالإلهاء، ومنهم من يستثمره في السهر في التسامر والحكايات حتي يقضي النهار في النوم وإضاعة الصلوات، ومنهم من يقضيه أمام صفحات التواصل الاجتماعي في تبادل القفشات والنكات، وإشاعة الأخبار الكاذبة، وسب من يعرف ومن لا يعرف، ومنهم من يقضيه في تصفح الصحف والمجلات.

ولقد حوت الصفحات الماضيات الكثير من هديه صلى الله عليه وسلم في هذا الشهر المبارك، عسى أن يستزيد منها المقبل على الطاعات، ويقتدي بهديه صلى الله عليه وسلم ممن لم يكن يعرف، فيسارع في استثمار الأوقات وجني ما فات لإدراك البقيات فهي الباقيات.

وأسأل الله تعالى أن يكون هذا الكتاب على صغر حجمه، وعظيم قدره بما احتواه عن موضوعات تتعلق بشهر رمضان الذي أرجو من الله تعالى أن يعيده على أمتنا الإسلامية وقد حققت أعظم الانتصارات؛ فهو شهر الجهاد والبطولات، وأن يكون موقعها على الخريطة الإيمانية موقعًا يرضى الله عنها فيه لأخراها، وأن يكون موقعها في كل طيب ومحمود على الخريطة العالمية، ما يرضي الله عنها في دنياها، وأن يشيع العدل فيها، وحب العلم، والإقبال على العمل، والتحلي بأخلاق الإسلام، والاقتداء بسنة ونهج خير الأنام عليه الصلاة والسلام.

**المحتويات**

[المقدمة 3](#_Toc485779472)

[رمضان شهر التواصل والتكامل 4](#_Toc485779473)

[التاريخ حين يعانق رمضان 7](#_Toc485779474)

[بدر .. باكورة الغزوات والانتصارات 10](#_Toc485779475)

[معه صلى الله عليه وسلم في رمضان 14](#_Toc485779476)

[خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْر 19](#_Toc485779477)

[مدرسة رمضان لا تغلق أبوابها 22](#_Toc485779478)

[رحمة الله تتجلى في الصيام 31](#_Toc485779479)

[توديع الصحابة وتوديعنا لرمضان 36](#_Toc485779480)

[الخاتمة 39](#_Toc485779481)

**سيرة الكاتب**

****

ـــ رئيس قسم الأدب العربي باتحاد الكتاب والمثقفين العرب.

ــ رئيس تحرير مجلة كنوز الأقلام الثقافية.

ــ نائب رئيس مجلس إدارة صالون المنصورة الثقافي الرياضي العربي.

ــ حاصل على دبلوم الدراسات العليا في المحاسبة المالية، جامعة عين شمس بجمهورية مصر العربية، ودبلوم الدراسات العليا بالمعهد العالي للدراسات الاسلامية بالقاهرة.

ــ عضو اتحاد الكتاب والمثقفين العرب، وشعبة المبدعين العرب التابعة لجامعة الدول العربية، وعضو مؤسس بمؤسسة الاتحاد العالمي للثقافة والآداب ورئيس اللجنة الإعلامية بها، ومنسق اتحاد المثقفين العرب، ومن كتاب ومفكري شبكة الألوكة، والمختار الإسلامي، ومكتبة صيد الفوائد العالمية، ورابطة أدباء الشام، ودار ناشري، وحروف منثورة للنشر الإلكتروني، وموقع الحوار المتمدن، وعضو بتجمع ناشرون.

ـــ نال وسام الإبداع وشهادات تقدير من اتحاد الكتاب والمثقفين العرب، وشبكة النور "المختار الإسلامي"، ونال أيضًا درع الملتقى الأول لصالون عزة أبو العز الثقافي عن مجموع أعماله، ونال وسام شرف من صحيفة ذي المجاز الأردنية تكريمًا له عن مساهماته في إثراء المكتبة العربية، وعضو إداري بها.

ـــ قدَّم أكثر من ثلاثين حلقة بقناة النيل التعليمية المصرية مأخوذة من مؤلفاته.

ـ أعد مائة حلقة من برنامج :’’مع أسماء الله الحسنى .. فهمٌ وذكر’’، وكذا سهرات تليفزيونية عن شهر رمضان الكريم.

ــ أعدَّ عددًا من البرامج الدينية لبعض القنوات، مثل: واحة المستغفرين، لقاء الإيمان، غير كليب عن مناسك الحج، وكليب في الدفاع عن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، وشريط ديني للأطفال.

ـــ اعتمدت الجامعة الإسلامية العالمية بالمدينة المنورة، وجامعة الخليل بفلسطين المحتلة، بعض مؤلفاته كمراجع أكاديمية أدرجتها في رسائل الدكتوراه الصادرة عنهما.

ـــ فاز بمسابقة قصص على الهواء بإذاعة هيئة الإذاعة البريطانية BBC والتي قدمتها مسموعة من خلال البرنامج، بالاشتراك مع مجلة العربي الكويتية في مايو 2010 عن قصته: (القطار)، والتي اختارها الناقد البحريني الكبير فهد حسين.

ــ اختارت دار (نور نشر) NOOR PUBLISHING الألمانية إحدى عشر عملًا من مؤلفاته، وهي: "رسول الله صلى الله عليه وسلم حيٌ في قلوبنا"، "منهاج الزهد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم"، "الإعجاز البشري في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم"، "حراء .. غار النور"، "نساء في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم"، "حُبًا في أمي عائشة"، "سيظل رسول الله صلى الله عليه وسلم.. مهما أساؤوا"، "السهل المفيد في التجويد"، "سياحة الوجدان في رحاب القرآن"، "حوارات عربية في العلم والأدب والنقد"، "حوارات الكتاب والمثقفين العرب".

ــــ قدمت الدكتورة الأردنية ديانا رحيل أستاذ النقد الأدبي الحديث بجامعة اليرموك وفيلادلفيا دراسة نقدية عن مجموعته القصصية طقوس للعودة، نشرتها بجريدة الدستور الأردنية، بعنوان: [الكتابة ومصافحة البؤس الاجتماعي ــ قراءة في مجموعة "طقوس للعودة" للكاتب السيد إبراهيم أحمد].

ــ كتبت الدكتورة رانيا يحي أستاذ النقد الأدبي الحديث بأكاديمية الفنون بالقاهرة مقالة نقدية عن ديوانيه: "إلا الوطن"، "نادر يبحث عن السعادة" نشرتها "المسائية" دار أخبار اليوم القاهرية.

ــ كتبت عنه وقدَّمت بعض أعماله الناقدة والكاتبة عزة أبو العز.

ــ قدم الرائد العروضي الشاعر فوزي محمود بعض دواوينه.

ــ كتبت عنه الباحثة والصحفية ندى السيد دراسة بعنوان: "المرأة في أدب السيد إبراهيم".

ــ ترجمت بعض أعماله إلى اللغة الإنجليزية.

ــ شارك في تحكيم بعض المسابقات الأدبية بالمملكة المغربية عبر منتديات دواوين الدار البيضاء، وحضور بعض الفعاليات الأدبية والفنية مع بعض أدباء وفناني مصر في عدة محافظات مصرية.

ـــ قدَّم العديد من الدراسات القيمة في النقد الأدبي من خلال تقديم دراسات عن إنتاج بعض الشعراء والروائيين المصريين والعرب منشورة في أكثر من مجلة ودورية علمية.

ـــ أقام معه الشاعر الجزائري ياسين عرعار حوارًا سياسيًا مطولاً على صفحة كاملة بجريدة الحوار الجزائرية، وحوارين باتحاد الكتاب المثقفين العرب، وصحيفة ذي المجاز الأردنية.

ــ تغنى بقصائده وأغنياته الدينية الكثير من المبتهلين بالقنوات الفضائية الإسلامية، كما بثتها بعض الإذاعات، وكذلك قدمتها دار الأوبرا المصرية.

ــ إصداراته:

تتنوع كتابات الأديب السيد إبراهيم أحمد بين الأدب والدين والسياسة، ومنها:

\*\*في مجال الدين والدراسات الدينية:

ــ كتاب: "المعجزة المحمدية" .. دار نور للنشر، المنصورة.

ــ كتاب: "محمد صلى الله عليه وسلم .. كما لم تعرفوه".. دار دوِّن للنشر، القاهرة.

ــ كتاب: "السهل المفيد في أحكام التجويد".. صادر عن شبكة الألوكة، ودار حروف منثورة للنشر.

ــ كتاب : "سياحة الوجدان فى رحاب القرآن".. صادر عن شبكة الألوكة، ودار حروف منثورة للنشر.

ـــ كتاب: "نساء في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم".. صادر عن شبكة الألوكة، ودار حروف منثورة للنشر.

ـــ كتاب: "حبًا في أمي عائشة".. صادر عن شبكة الألوكة، ودار حروف منثورة للنشر.

ــ كتاب: "منهاج الزهد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم".. شبكة الألوكة، ودار ناشري.

ـــ كتاب: "سيظل رسول الله صلى الله عليه وسلم ..مهما أساؤوا".. صادر عن دار ناشري بالكويت.

ــ كتاب: "كل ما فيه معجزة صلى الله عليه وسلم" .. صادر عن مكتبة صيد الفوائد العالمية.

ــ كتاب: "رسول الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ في قلوبنا".. صادر عن مكتبة صيد الفوائد العالمية.

ــ كتاب: "الإعجاز البشري في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم"، صادر عن شبكة الألوكة، ودار حروف منثورة للنشر الإلكتروني.

ــ كتاب: حراء .. غار النور".. دار ناشري الكويت.

\*\* في مجال الأدب:

ــــ كتاب: "حاوروني وحاورتهم".. صادر عن دار حروف للنشر الإلكتروني.

ــ كتاب: "حوارات عربية".. صادر عن دار حروف للنشر الإلكتروني.

ــ كتاب: "مع مهندس العروض الرقمي.. وقفات وتساؤلات".. صادر عن دار حروف للنشر الإلكتروني.

ــ كتاب: "حين يعزف القلم.. مقالات".. صادر عن دار حروف للنشر الإلكتروني.

ـــ مجموعة قصصية "طقوس للعودة" .. صادر عن دار ناشري بالكويت.

ــــ ديوان شعر بالعامية المصرية بعنوان: "إلا الوطن".. صادر عن دار مصر اليوم، القاهرة.

ــــ ديوان شعر للأطفال: "نادر يبحث عن السعادة".. صادر عن دار مصر اليوم بالقاهرة.

ــــ مسرحية: "المنعطف الأخير".. صادرة عن دار حروف للنشر الإلكتروني.

ــ مسرحية: "العائد الذي ما عاد".. عن حروف للنشر الإلكتروني، ومجلة الفرجة المسرحية المغربية.

ــ الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول.. صادر عن دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني.

ــ له العديد من المشاركات والحضور من خلال برامج قناة النيل الثقافية، وقناة النيل للأخبار، وقناة القنال، وبعض القنوات الدينية، وإذاعة صوت العرب.

ـ تنشر أعماله: [شبكة الألوكة، مكتبة صيد الفوائد، رابطة أدباء الشام، دار ناشري للنشر الالكتروني، حروف منثورة للنشر، مجلة الرباط الأدبي التي تصدرها رابطة الأدب الإسلامي العالمية، المستقبل، دنيا الرأي، دنيا الوطن، مجلة الجيل، الأهرام، الفجر نيوز، الواقع، الدلتا، مجلة الفكر الحر، صحيفة الشرق القطرية، المختار الإسلامي، مقالاتي، مكتوب، شبكة أعلام القدس، ألوان عربية، مجلة رؤى مصرية].

ــ للتواصل بالكاتب:

[elsayedebrahim22@gmail.com](mailto:elsayedebrahim22@gmail.com)